

ما هي مراحم داود الصادقة؟

بقلم: شكري حبيبي

تحدث النبي إشعيا في بداية الأصحاح الخامس والخمسين من سفره عن خلاص الله الذي سيُعلن إلى جميع الشعوب. "أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشترُوا وكلوا هلموا اشترُوا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنا. لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع. استمعوا لي استماعا وكلوا الطيب ولتلتذذوا بالدسم أنفسكم. أميلوا آذانكم وهلموا إليّ." ثم فاجأ قارئيه بهذه النبوءة الهامة: "اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهدا أبديا مراحم داود الصادقة. هوذا قد جعلته شارعا للشعوب رئيسا وموصيا للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدس إسرائيل لأنه قد مجدك." (إشعيا ٥٥:١-٥)

فما هي هذه مراحم داود الصادقة؟ وماذا تعني؟ لكي نفهم معنى هذه النبوءة علينا أن نعود إلى سفر النبي صموئيل الثاني، عندما أمر الرب ناثان النبي أن يكلم الملك والنبي داود قائلا: "متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. هو يبني بيثا لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد... ويأمن بيثك ومملكته إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتا إلى الأبد." (صموئيل الثاني ٧:١٢ و١٦، ١٣) إن مراحم داود الصادقة إذن، هي وعد الله للملك داود أنه سيأتي من نسله من يجلس على كرسيه، وأن الله سيثبت مملكته إلى الأبد.

لقد تمت هذه النبوءة جزئيا في الملك سليمان ابن الملك داود، الذي بنى بيثا لإسم الرب. لكن القصد الحقيقي من هذه النبوءة كان هو الرب يسوع المسيح، الذي سيأتي من نسل الملك داود بحسب الجسد. وكان النبي إشعيا قد أكد هذه النبوءة، عندما تنبأ عن ولادة الرب يسوع المسيح إذ قال عن هذا الولد العجيب الذي سيولد: "نمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد." (إشعيا ٩:٧) وبشّر الملاك جبرائيل في بشارته للعذراء مريم، قائلا لها: "وها أنت ستحبلين وتلدن ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية." (لوقا ١:٣١-٣٣)

لعل السؤال الآن: كيف تمت مراحم داود الصادقة؟ ومتى جلس المسيح على كرسي داود؟ لقد أجاب الرسول بطرس في موعظته يوم الخمسين عن هذه التساؤلات الهامة، عندما خاطب اليهود المجتمعين في أورشليم، فتحدث عن داود قائلا: "فإذ كان نبيا وعلم

أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه. سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فسادا. "ثم ختم موعظته بالقول: "قليلعلم يقينا جميع بيت اسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربا ومسيحا." (أعمال الرسل ٢: ٣٠ و ٣٦، ٣١) وبتعبير آخر أن المسيح قد أتم وعد الله للملك داود، وجلس على كرسيه بقيامته الظاهرة وصعوده حيا إلى السماء، ودخوله إلى مجده (راجع لوقا ٢٤: ٢٦) أي تمجده، بجلوسه عن يمين الله الأب في مركز القوة والسلطان. إذن يبدو واضحا من موعظة الرسول بطرس أن الرب يسوع المسيح بقيامته المجيدة من بين الأموات، قد أتم مراحم داود الصادقة، وجلس على كرسي داود أبيه بحسب الجسد.

ولقد أكد الرسول بولس هذه الحقيقة في موعظته بمجمع اليهود في أنطاكية ببيسدية، إذ قال لهم: "ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لأبائنا أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضا في المزمور الثاني أنت ابني أنا اليوم ولدتك. أنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود إلى فساد فهكذا قال إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة." (أعمال الرسل ١٣: ٣٢-٣٤) نلاحظ من هذه الآيات المقدسة الإرتباط الكامل بين مراحم داود الصادقة وقيامته الرب يسوع المسيح من بين الأموات. وأن الله قد أكمل كل المواعيد التي سبق له أن وعد بها الشعب القديم، وذلك بمجيء الرب يسوع المسيح وقيامته الظاهرة من بين الأموات.

نعود الآن إلى نبوءة النبي إشعياء في الأصحاح الخامس والخمسين فنلاحظ أولا: أن مراحم داود الصادقة ستكون عهدا أبديا. "وأقطع لكم عهدا أبديا مراحم داود الصادقة." عرفنا من كلام ناثان النبي إلى داود، أن الله وعد أنه سيثبت كرسي مملكة الذي سيأتي من نسله إلى الأبد. "وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد." وهذا الذي حصل عندما أتى الرب يسوع المسيح وقطع العهد الجديد مع الإنسان بموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات، وبدأ مملكته التي ستبقى إلى الأبد. هذا هو العهد الأبدي الذي خطه المسيح بدمه. "على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد." أجل، لقد تمت مراحم داود الصادقة بقيامة المسيح وتمجده، وهي ستبقى ثابتة إلى الأبد. لا سيما أن المسيح المنتصر المقام سيعضدها بالحق والبر.

ونلاحظ ثانيا: أن وعود الله من خلال مراحم داود الصادقة عندما تتم، لن تكون مقتصرة على المؤمنين بالمخلص المسيح من اليهود فقط، بل ستشمل كل شعوب الأرض. إذ يتابع النبي إشعياء قائلا: "هوذا قد جعلته شارعا للشعوب رئيسا وموصيا للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك و قدوس إسرائيل لأنه قد مجدك." فبمجيء المسيح وموته الكفاري وقيامته المجيدة، أعلن خلاص الله لكل الشعوب. ألم يقل المسيح عن نفسه: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة؟" (يوحنا ٨: ١٢) إن الرب يسوع المسيح هو النور الحقيقي الذي أتى إلى العالم، هو الطريق والحق والحياة. هو المشرع الوحيد، وملك الملوك ورب الأرباب.

لقد فتح الرب يسوع المسيح بموته وقيامته الباب على مصراعيه، لكي يدخل ويختبر خلاص الله العجيب هذا، كل من يؤمن به. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية." (يوحنا ٣: ١٦) ولهذا نجد اليوم كما تنبأ إشعياء، بشاراة الخلاص المفرحة، بشاراة ملكوت الله، تعم المسكونة ويُكرز بها في كل أرجاء المعمورة. ويكاد يقترب ذلك اليوم الذي سيكون فيه مؤمنون بالمخلص المسيح من كل قبيلة وأمة وشعب ولسان.

لهذا لم يكن غريبا أن يكتب إشعياء في الأعداد التالية من نفس هذا الأصحاح قائلا: "لأن أفكارني ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقني يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقني عن طرقكم وأفكارني عن أفكاركم." (إشعياء ٥٥: ٨ و٩) هذا هو فكر الرب، وهذا هو طريقه، فكر الرب الذي يختلف بالكلية عن فكرنا البشري المادي. وهذا هو طريق الرب، طريق الرحمة والخلاص لجميع البشر. إن الرب يريد أن يرحم الإنسان، ولهذا أعد له طريق الخلاص والحياة الأبدية، بواسطة عمل الفداء وقيامة المسيح من بين الأموات. أجل هذه هي مراحم داود الصادقة التي أتمها الرب يسوع المسيح بموته الكفاري وقيامته المجيدة.

وماذا عنك قارئ العزيز، ألا تود أن تشملك مراحم داود الصادقة هذه؟ إسمع ماذا يقول لك النبي إشعياء، وبعد تلك الأعداد التي تحدث فيها عن بركة الله التي ستشمل كل الشعوب من خلال المخلص المسيح كتب قائلا: "اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب. ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران." (إشعياء ٥٥: ٦ و٧) ألا ترغب أن تطلب الرب وأن تتوب إليه؟ إنه مستعد أن يستقبلك، ويغفر خطاياك، ويجعلك من أولاده، ويصبح إلهك الحي الذي يقيم عهده معك إلى الأبد. فهل تراك تلمي هذا النداء؟